الملتقى الوطني الثاني الموسوم بـ:

دور المجتمع المدني في الحفاظ على الأمن القومي الجزائري

"الثقافي والاجتماعي أنموذجا"

من تنظيم: جامعة الوادي والزاوية التجانية بتماسين

المنعقد بـ: جامعة الوادي في: 6 مارس 2023

.....

دور شيوخ الطريقة التجانية
في تحقيق الأمن القومي الجزائري

إعـــــــــداد:

د. أمينـــــــة تجـــــــاني

أستاذة بقسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة الوادي

الملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء عن شيوخ الطريقة التجانية كمجتمع مدني فعّال وإيجابي ساهم في خدمة البلاد والعباد منذ تأسيس الطريقة التجانية إلى اليوم، والكشف عن أدوارهم الفاعلة تجاه التحديات التي واجهت الجزائر عبر سيرورتها التاريخية، وإبراز الجهود التي بذلوها من أجل تحقيق الأمن القومي الجزائري في مختلف مجالات الحياة، لأن الأمن القومي لا يقتصر على الأمن العسكري والدفاعي بل يتعداه إلى الأمن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي والتربوي.

مقدمة:

إن قضية الأمن القومي من أهم القضايا التي أولتها الدول والمجتمعات اهتماما كبيرا عبر مختلف العصور، وإن كانت قديما تشير إلى القوة العسكرية فقط، فهي اليوم تؤكد على أنها لا تقتصر على الأمن العسكري فقط، بل تتعدّاه إلى الأمن التنموي في كل المجالات الأخرى؛ الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والعلمية...

وهذا ما جعل الأمن القومي ضرورة ملحّة لأي دولة من أجل تحقيق التنمية، وعنصرا مهمّا لتحقيق تطورها وازدهارها، "وحماية مكتسباتها وإنجازاتها الحضارية، وإذا كان الأمن قد نشأ كضرورة اجتماعية لاستقرار المجتمع وحمايته، فإنه يعد وسيلة أيضا لحفظ كيان الدولة وسيادتها ومصالحها العليا، وعليه فإن الدولة التي يغيب عنها الأمن والاستقرار تفقد مقوّمات وجودها وسيادتها، وتعمّها الفوضى وينهار نظامها الاجتماعي[1]".

لذا فإن الحفاظ على الأمن القومي يأتي في مقدمة أولويات الأهداف القومية التي تسعى الدول لتحقيقها، أيّا كان حجمها أو درجة تقدمها، فتعرُّض الأمن القومي للخطر ينقص من سيادة الدولة وحقوقها وسلامة أراضيها ومواطنيها، مما يهدّد كيانها ووجودها؛ لذا تحرص الدول على امتلاك القوة القادرة على تحقيق هذه الأهداف[2].

وقد شهدت الجزائر عبر تاريخها الطويل العديد من المخاطر التي هدّدت أمنها القومي، أبرزها الاستعمار وما قام به من ممارسات للقضاء على الهوية الجزائرية، وما خلّفه من دمار شامل على كل الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وما أنتجته سياسته الاستعمارية من انتشار للفقر والمرض والجهل والأمّيّة وغيرها غداة الاستقلال. والإرهاب وتحدّيّاته الخطيرة في العشرية السوداء، وغيرهما.

---

[1] أماني محمد شريف عبد السلام، دور التعليم الجامعي في الحفاظ على القومي المصري" دراسة تحليلية"، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط، م34، ع10، أكتوبر 2018، ص02.

[2] ينظر: أحمد إبراهيم أرناؤوط وبيومي محمد ضحاوي وأحمد كمال عبد الوهاب، تفعيل دور التعميم العالي في تحقيق الأمن القومي في مصر. مجلة كلية التربية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس، ع19، جانفي2011، ص167.

ولا تزال التّحدّيات إلى اليوم قائمة، بل هي في هذا الزّمن أصعب من ذي قبل، لأنّها موجّهة إلى الرأس المال البشري الذي يمثّل عدّة الدّولة في البناء والتعمير والتنمية والازدهار، وذلك من خلال الاختراق الفكري والثقافي الذي يمثله مجتمع ما بعد العولمة، والتغير في منظومة القيم، وارتفاع معدل الجريمة، والنظام العالمي الجديد، والعولمة، وثورة المعلومات والاتصالات، والتكتلات الاقتصادية، والتي تشكل تهديدا لأمنها القومي وسيادتها واستقرارها ومصالحها الإقليمية والدولية.

ولا يمكن للدولة مواجهة هذه التحديات، إلا إذا كان لديها مجتمع مدني مدرك لهذه المخاطر، وفعّال يشاركها هذه التحدّيات، مجتمع مدني قوي وقادر على استيعاب هذه التحديات والتعامل معها، مجتمع مدني يسخّر كل طاقاته المادية والبشرية لخدمة الصالح العام، وذلك من خلال الاهتمام بقضايا الفئات الاجتماعية والعمل على تقديم الخدمات المختلفة لها من أجل تنميتها وتحسين ظروفها وأوضاعها.

وقد كان للجزائر في جميع محنها والتحديات التي واجهتها مجتمعا مدنيّا ساهم في تحقيق الأمن القومي الجزائري قدر الاستطاعة، برز جليّا في شيوخ الطريقة التجانية الذين ساهموا في خدمة البلاد والعباد بكل ما أوتوا من قوّة، ولم يدّخروا جهدا في سبيل ذلك منذ تأسيس الطريقة التجانية على يد الشيخ أحمد التجاني إلى اليوم. ولكن رغم الجهود التي بذلوها والمساهمات الفعالة التي قدموها للمجتمع إلا أن دورهم هذا لم يحظ بالاهتمام ولم يُعْنَ بالدّراسة حتى يستثمر في هذا العصر.

من هذا المنطلق أردنا تسليط الضوء على المجتمع المدني التجاني من خلال شيوخه الذين يمثلون قيادات اجتماعية فاعلة ساهمت في تنمية الفرد والجماعة، وحافظت على مقومات الأمن القومي الجزائري سابقا، ولا تزال تعمل على تنمية وتطوير المهارات والقدرات الفردية لترقية المجتمع إلى اليوم، لأنها تعتبر نفسها مسؤولة عن خدمة المجتمع والوطن، يقول الشيخ محمد العيد التجاني: "لنرتقي بفكرنا، لنرتقي بأبنائنا، لنرتقي بمجتمعنا خدمة للبلاد والعباد".

فجاءت فكرة البحث موسومة بـ "**دور شيوخ الطريقة التجانية في تحقيق الأمن القومي الجزائري**" لتجيب عن الإشكالية الرئيسة الآتية:

ما الدور الذي لعبه شيوخ الطريقة التجانية من أجل تحقيق الأمن القومي الجزائري؟

ولما تدرّج عنها من تساؤلات فرعية، أهمها:

- ما المقصود بالأمن القومي الجزائري؟ وما هي أهمّ مقوّماته؟
- ما هي أهم التحديات التي واجهت الأمن القومي الجزائري قديما، والتي تواجهه حديثا؟
- كيف يمكن استثمار الطريقة التجانية كمجتمع مدني فاعل وشريك للدولة في تحقيق التنمية الاجتماعية؟

– كيف السبيل لتفعيل التربية بالطريقة التجانية في الحفاظ على الأمن القومي الجزائري في عصر العولمة؟

ولتحديد النهج الذي ستخطّه الدراسة حددنا الكلمات المفتاحية الآتية: مفهوم الأمن القومي– مقومات الأمن القومي– شيوخ الطريقة التجانية ودورهم في الحفاظ على مقومات الأمن القومي الجزائري.

أولا: مفهوم الأمن القومي

1– لغة

الأمن في اللغة ضد الخوف[1]، ويقول ابن فارس: معناه سكون القلب[2]. ومنه الإيمان الذي هو سكون القلب، وأَمِنَ البلد أي اطمأنّ أهله فيه[3]. وقال صاحب تاج العروس: وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[4]. وكما يكون الأمن في الحاجات المادية يكون في الحاجات المعنوية، وكما يكون للأفراد يكون للجماعات[5].

2– اصطلاحا:

تعرّف دائرة المعارف البريطانية الأمن القومي بأنّه "حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية أو دفع العدوان عن دولة معينة والمحافظة على كيانها، وضمان استقلالها والعمل على استقرار أحوالها الداخلية[6]. وتعرفه الموسوعة السياسية بشكل عام بأنه "تأمين سلامة الدولة ضد الأخطار والتهديدات الخارجية والداخلية التي قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة قوى أجنبية نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخلي"[7].

كما يعرّف بأنه "قدرة النظام الاجتماعي على مواجهة التهديدات الداخلية والخارجية، مما يؤدي إلى الحفاظ على تماسك كيانه، وهويته، وتأمين موارده وحرية عقيدته، وتحقيق سيادته"[8].

ويعرّف أيضا بأنه "قدرة الدولة على التغلب على التحديات التي تواجهها داخلياً وخارجيا، ويشمل قدرة الدولة على إشباع حاجات المواطنين الأساسية من وظائف، وخدمات صحية ومعيشية تحقق إنسانية المواطن وتفي بآمال المواطنين في اقتصاد يحقق التنمية المستدامة"[9].

---

[1] الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج5، ص2081 (مادة أمن).

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1989، ج1، ص133 (مادة أمن).

[3] إبراهيم مصطفى ورفاقه، محمد النجار، القاموس الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج1، ص28 (باب الهمزة).

[4] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ص184 (مادة أمن).

[5] محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص05.

[6] ينظر: أحمد عاطف عبد الله، السبل الكفيلة لإنجاح نمط التعلم والتدريب الالكتروني، مجلة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد 181، 2009.

[7] عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1997، ص331.

[8] حاج ميلود عامر، الأمن القومي العربي وتحدياته المستقبلية، دار جامعة نايف للنشر، الرياض، دط، 2016، ص24.

[9] Audu, C., Luke, A. A Nexus between Higher Education, Journal of Research and Methods in Education, 5(4), 2014, p35.

وبصفة عامة هو تأمين كيان الدولة والمجتمع ضد كافة الأخطار التي تهدّدها سواء كانت هذه الأخطار داخلية أم خارجية، وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف الاقتصادية والاجتماعية المناسبة لتحقيق الأهداف التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع[1].

وعليه فإنّ الأمن القومي الجزائري هو قدرة الدولة الجزائرية على الدفاع عن أمنها وحقوقها والحفاظ على استقلالها وسيادتها على أراضيها، وتنمية قدراتها وإمكاناتها في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مع الأخذ في الاعتبار المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية التي تؤثر على أمنها.

وهذا يتضمن:

- تأمين كيان الدولة والحفاظ على وحدتها ونسيجها الاجتماعي.
- مواجهة المخاطر والتهديدات الداخلية والخارجية التي تواجه الدولة.
- تحقيق الاستقرار الاجتماعي والتنمية الشاملة للمجتمع في جميع المجالات.
- تحقيق الغايات والأهداف الإستراتيجية للدولة.

وهذه مسؤولية مشتركة بين الدولة والمواطن، بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني بكل أطيافه؛ منظمات وجمعيات وطرق صوفية من أجل تحقيق التنمية والدفاع عن المصالح العليا للوطن.

ثانيا: مقومات الأمن القومي:

الأمن القومي كمفهوم مجتمعي شامل له مجموعة من المقومات التي تمثل مقتضيات الحماية الذاتية له، والنقص في أي مقوم من هذه المقومات يضعف من قوة المجتمع ويهدد أمنه القومي، وهذه المقومات هي[2]:

1- المقومات الاستراتيجية:

ويتمثل في الموقع الجغرافي للدولة وأهميته، ومساحة الدولة وعدد سكانها ومواردها الطبيعية وقربها أو بعدها عن منافذ الملاحة العالمية، ومدى صلاحيتها للاستغلال في الأنشطة الاقتصادية، وكذلك نوعية الصناعات الموجودة ومدى تركيزها أو انتشارها، ووسائل الاتصال بين المناطق المختلفة للدولة.

ودائما ما تسعى الدول الكبرى للسيطرة على الدول ذات المميزات الجغرافية، سواء ذات الموقع الاستراتيجي أم الغنية بالثروات الطبيعية، كالنفط والمعادن والغاز؛ لذا فإن دراسة الموقع الجغرافي ومعرفة مزاياه وعيوبه يفيد في تحديد الجوانب التي يمكن أن تؤدي إلى التصادم مع الدول الأخرى، ليتم الاستعداد لها مسبقا حتى لا يتعرض الأمن القومي للخطر.

---

[1] جلال فاخوري، مستقبل السلام العربي، جمعية المطابع التعاونية، عمان، دط، 2003، ص156.

[2] أماني محمد شريف عبد السلام، دور التعليم الجامعي في الحفاظ على القومي المصري، ص19، 22.

2- المقومات السياسية:

ويتمثل في الحفاظ على كيان الدولة ووحدتها، وذلك من خلال تنظيم وإدارة مؤسسات الدولة ومواردها المختلفة، ويشمل هذا المقوم جانبين أساسين هما:

أ- الجانب الداخلي: ويتمثل في النظام السياسي ومدى قدرته على حل المشكلات الداخلية للدولة، وحسن استغلال الطاقات والموارد الاقتصادية والبشرية اللازمة لتحقيق أهداف المجتمع.

ب- الجانب الخارجي: ويتمثل في سياسات الدول المجاورة والكبرى وأهدافها تجاه الدولة، وكذلك درجة تأثير الدولة في المجتمع الدولي، وقدرتها على تحقيق مصالحها، والحفاظ على سيادتها وأمنها القومي دون خضوعها لأي ضغوط خارجية. وتعد السياسة الخارجية، الأداة الأولى للدولة التي تستخدمها في الدفاع عن مصالحها العليا، حماية أمنها والحفاظ على كيانها ومعتقداتها وقيمها ونظام الحياة فيها من أي أخطار أو تهديدات خارجية.

3- المقومات الاقتصادية:

تمثل المقومات الاقتصادية عنصرا أساسيًّا في معادلة الأمن القومي لأي دولة، فلا يمكن أن يتحقق الأمن القومي إلا في ظل اقتصاد قوي يترتب عليه استقرار داخلي من خلال التنمية، واستقلال خارجي بعيدا عن التبعية. وتتمثل المقومات الاقتصادية للدولة في نشاطها الاقتصادي، وحجم القوى البشرية المؤهلة والمدربة القادرة على العمل، وتوجد ثلاثة أنواع من الموارد الاقتصادية التي تؤثر على مستوى الأمن القومي، هي: الموارد الغذائية، الموارد المعدنية، الموارد الصناعية.

4- المقومات الاجتماعية والثقافية:

يتمثل المقوم الاجتماعي في الحد من الجريمة والانحراف، وإشباع حاجات الأفراد المادية والروحية، ويعد ذلك شرطا ضروريا لتحقيق أبعاد الأمن القومي الأخرى. فالمواطن عندما يشعر بالأمن الاجتماعي في حياته وحياة أسرته، سيكون رأيه وموقفه واتجاهه من أفضل الأسلحة لحماية وضمان الأمن القومي بأبعاده المختلفة؛ حيث تنمو لديه مفاهيم الانتماء والولاء وتحمل المسؤولية التي تعد من أهم مكونات الأمن القومي في المجتمع. ولا تقل المقومات الثقافية عن المقومات الاجتماعية أهمية في بناء الأمن القومي، فالمجتمعات التي تعاني انقسامات ثقافية شديدة، تصبح أكثر عرضة لتهديد أمنها القومي من قبل القوى الداخلية والخارجية.

وتتوقف فاعلية المقومات الاجتماعية في تحقيق الأمن القومي للدولة على:

- ✓ إشباع الحاجات الأساسية للأفراد، مما يؤكد ارتباط الفرد بالمجتمع، ويعمق حالة الاستقرار الاجتماعي.

- ✓ القضاء على التمييز الاجتماعي سواء أكان دينيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا، وبالتالي القضاء على الخلاقات والصراعات بين فئات المجتمع.

5- المقومات العسكرية:

تعد المقومات العسكرية أحد الركائز الأساسية لتحقيق الأمن القومي للدولة، لأنه مهما توفرت المقومات السابقة للدولة ولم تتوفر القوة العسكرية، فلن تستطيع الدفاع عن أمنها وسيادتها، وقد تتعرض لمخاطر وتهديدات تؤدي إلى انهيارها أو سيطرة قوى خارجية عليها؛ ولذا فإن تحقيق الأمن القومي يتطلب وجود قوة عسكرية قادرة على الدفاع عن أراضي الدولة ومكتسباتها ضد الاعتداءات الخارجية، وحمايتها من التهديدات الداخلية، والحفاظ على سيادتها واستقلالها.

6- المقومات العلمية والتكنولوجية:

تشكل المقومات العلمية والتكنولوجية أهم سمات العصر الحالي، وتلعب دورا مؤثرا في مدى تقدم الدول وتراجعها، وصياغة توجهات الحاضر والمستقبل، وقد ازدادت أهمية هذه المقومات في الوقت الحاضر لتحقيق الأمن القومي للمجتمع، فغيابها يعني عدم القدرة على العيش في عالم الغد، عالم التصارع من أجل الهيمنة والسيطرة المعلوماتية والتكنولوجية والعلمية. وتتمثل المقومات العلمية والتكنولوجية في حجم الإنتاج العلمي، وعدد المراكز البحثية والجامعات، وحجم الميزانية المخصصة للبحث العلمي، وعدد براءات الاختراع، وعدد العلماء والباحثين، والقدرة على إنتاج التكنولوجيا وتصديرها.

7- المقومات التربوية:

تشكل التربية والتعليم بصفة عامة، والتعليم الجامعي بصفة خاصة المنطلق الرئيس لبناء الشخصية القومية، كما أنها تلعب دورا مهما في تعزيز الوحدة الوطنية، وإلغاء الفوارق بين طبقات وطوائف المجتمع، وترسيخ القيم والاتجاهات، وتنمية قيم الولاء والانتماء، والوعي بالمحافظة على ممتلكات الوطن وثرواته وإنجازاته الحضارية، وغرس المفاهيم المرتبطة بالأمن القومي.

وتعد المقومات التربوية أساسًا لتحقيق المقومات الأخرى، فالتربية الجيدة تؤدى إلى تنمية القدرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والعسكرية وغيرها، ما يؤدي إلى تحقيق الأمن القومي الجزائري.

ثالثا: شيوخ الطريقة التجانية ودورهم في الحفاظ على مقومات الأمن القومي الجزائري

لم يعد الأمن القومي يقتصر على قضية الأمن الدفاعي والعسكري، وإنّما اتّسع ليشمل الأمن التنموي بكافة مجالاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فلا يتحقق الأمن القومي دون تنمية هذه المجالات، ولهذا فإن مساهمات شيوخ التجانية قد مست الجوانب الاجتماعية والثقافية والعلمية والاقتصادية.

1- الأمن الاجتماعي:

إن الأمن القومي الاجتماعي هو القدرة على تأمين كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار الداخلية التي تهددها، وتأمين مصالح المواطنين، وتهيئة الظروف الاقتصادية والاجتماعية المناسبة لتحقيق الأهداف التي توفر الرضا العام في المجتمع[1].

لذا فإن المعنى المجتمعي للأمن القومي أعم وأشمل من المعنى العسكري الضيق لارتباطه بمسألة التطور الاجتماعي، وأي تهديد لإحدى الحالات الاجتماعية، هو تهديد للأمن القومي، لذلك تتعدد مصادر تهديد الأمن القومي وفقاً لهذا المفهوم لتشمل المظاهر السياسية والاقتصادية والغذائية والأيدلوجية، والتخريب الداخلي، والضغوط الخارجية، والانقلابات العسكرية[2].

أ- الأمن الغذائي:

إن الأمن الاجتماعي هو "الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان فردا أو جماعة في سائر ميادين الحياة"[3]، وهو ضرورة من ضروريات الحياة بل هو أحد المقاصد الكبرى للدين، ومن أهم عوامله؛ الغذاء والاستقرار. ولأهميّتهما في حياة الفرد والجماعة فإنّ الله قد مَنَّ بهما على قريش، لقوله تعالى: ﴿**الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾[4]. وذلك استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال: ﴿**ربّ اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات**﴾[5].

ولعلم شيوخ الطريقة التجانية بأهمية الغذاء في حياة الأفراد والجماعات فإنّهم عملوا على توفيره لمجتمعهم المحلّي مساهمة منهم في التّقليل من هذا الخطر الذي يواجه الدّولة، فالجوع قد يؤدّي إلى ثورات ومشاكل لا يحمد عقباها، والثورة الفرنسية أكبر دليل على ذلك.

وقد ساهم شيوخ زاوية تماسين في هذا المجال؛ إذ أن الشيخ الحاج علي التماسيني استثمر في القطاع الزراعي؛ فقام بغراسة النخيل، ويعدّ أوّل من استصلح أرض تملّاحت الكثيرة الملوحة دون أن يُشْعِر أحدا من

---

[1] أماني محمد شريف عبد السلام، دور التعليم الجامعي في الحفاظ على القومي المصري، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] محمد عمارة، الإسلام والامن الاجتماعي، ص12.

[4] سورة قريش، الآيتان 04، 05.

[5] سورة البقرة، الآية 126.

أهالي تماسين حتى لا يحاولوا صرفه عن مشروعه المتحدي لقوانين الطبيعة، ولم يُشعِر حتى والده بذلك. وبعد سنتين من الجهد الجهيد وبعيدا عن الأنظار – لبعد تملاحت عن تماسين القصر– اخضرّت الأرض بفضل ربها وآتت أكلها[1]. وواصل الغراسة إلى أن وافته المنيّة مخلّفا أربعة عشر ألف نخلة غرسها بيده أو حضر غرسها.

وليضمن كثرة المنتوج وجودته من التمور كان يغرس النخلة الأنثى ويعرفها من خلال الفسيلة (الحشانة) أو (النخلة الصغيرة)، إذ يقوم بفرك سعف النخيل فإذا كان ليّنا رطبا فهي أنثى، وإذا كان خشنا جافا فهي ذكر فلا يغرسها لأنّ غلتها تكون قليلة جدا. ففي كل مرة وقبل أن يغرس النخيل في غابته يمسك بسعف الجريد الأخضر ويقوم بفركه بين أصابعه ويكرّر العملية مرتين أو ثلاثة للتأكد حتى يصل إلى المرغوب من هذه العملية، وحين سئل عن السبب؟ كان يقول: إذا كان ملمسها ليّن وطري ورطب فإنَّ منتوجها بإذن الله وفير، وإن كان أحرشا وخشنا فمنتوجها متواضع وقليل[2].

كما كان يختار زمن الغراسة المناسب للحصول على وفرة في المنتوج، فكان يغرس النخيل بداية فصل الربيع مع نهاية الليالي السُّود وما يتبعها من تقلُّبات جوِّية، والتي تنتهي بارتفاع طفيف في درجات الحرارة، وفي ذلك يقول: النّخلة التي تزرع والسّخانة مقابلتها إمّا أن تَغُل أو تموت، أمّا المزروعة في البرد حتّى إذا عاشت لا تغل[3].

ولم يكتف الشيخ الحاج علي التماسيني بغرس النّخيل بل اجتهد لخلق نشاط زراعي حول النّخلة، يعرف باسم "الزّراعة الطّبقيّة"، والمرجع فيها هي أجزاء النّخلة نفسها، انطلاقا من الجذور ومرورا بالتّربة ثمّ صعودا إلى أعلى الشّجرة، فالزّرع المقابل للجذور هو الجزر واللفت، ثمّ إلى الدّور الأعلى ويشمل كلّ ما ينمو على وجه الأرض مثل اليقطين والدّلاع، ثمّ إلى ما يليه على علو عشرين سنتيمترا (20 سم) مثل الطماطم والفلفل والباذنجان، وعلى مستوى أعلى تأتي الأشجار المثمرة مثل شجر المشمش والخوخ، وفي آخر صعيد تأتي النّخلة المنتجة للتّمر، فبعمله هذا قام بتوفير الغذاء طيلة فصول العام كلّه[4].

---

[1] ينظر: محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية (1803– 1954م)، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الوهاب شلالي، جامعة الوادي، 2013/ 2014، ص95. وينظر: علي بن خليفة، العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، دار الجائزة، الجزائر، ط1، 2015، ص109، 110.

[2] ينظر: مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد "مقاربة سوسيو أنثروبولوجيا"، إشراف: ياسين كرامتي، جامعة الزيتونة، 2021/ 2022، ص138. نقلا عن: أحميدة ينبعي، مدونة التواريخ والكرامات، مخطوط، ص90.

[3] المرجع نفسه، ص138. نقلا عن: أحميدة ينبعي، مدونة التواريخ والكرامات، ص90.

[4] أمينة تجاني، خطابات الشيخ محمد العيد التجاني، ص125، 126.

وهو بذلك وفّر الغذاء وسد حاجة قطاع كبير من الفئات الاجتماعية المختلفة ما حال دون انحرافها، لأنه حافظ عليها من الفقر الذي إن انتشر فسيترتب عليه الكثير من السلبيات التي تضر الفرد والمجتمع، كالسرقة، والنهب والقتل، وانتشار الأمية والجهل وكثرة الأمراض، والتفكك الأسري، ما يؤثر سلبا على أمن المجتمع واستقراره.

وبتحقيقه للأمن الغذائي يكون قد حقّق الأمن الاجتماعي لمنطقته وما جاورها لأنّ "المعنى المجتمعي للأمن القومي يشمل الموارد البشرية والمادية الأساسية للدولة، كمصادر الطاقة والغذاء، والقدرات الإنتاجية، والسلع الإستراتيجية، والتجارة وسبل المواصلات، وأساليب الاتصال"[1].

ب- التكافل الاجتماعي:

بفضل عمله وإنتاجه الوفير في القطاع الزراعي خلق موردا ماليّا لا ينفد للزاوية، ما مكّنه هو وخلفاؤه من بعده من تحقيق الأمن الاجتماعي بشكل دائم ومستمر، وذلك بتطبيق التكافل بالإحسان انطلاقا من منهجهم الصوفي التجاني وامتثالا لأمر الله عز وجل واقتداء برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

وذلك لكون التكافل "يحفظ المجتمع من لجوء البعض إلى طريق الإجرام، والوقوع في الانحراف السلوكي، ما يؤدي إلى زعزعة أمن المجتمع، وتفككه واضطرابه، فالتكافل الاجتماعي له دور مهم وفاعل في انضباط الأفراد، وتحقيق الأمن الاجتماعي، كترسيخ الاستقرار والاطمئنان، وغرس القيم الإيمانية بين جميع فئات المجتمع، وهي القيم التي تحفظ على المجتمع أمنه وسلامته"[2].

ومن مظاهر التكافل الاجتماعي عند شيوخ الطريقة التجانية مساعدة أهل العرس، فقد كان الإمام التَّماسيني وخلفاؤه من بعده يساعدون أهل العرس إنْ كانوا من خارج الزَّاوية بالقمح أو الشَّعير، كذا التَّمر ومبلغ معتبر من النُّقود. كما كان يقوم بِوليمة لأهل العريس وأهل العروس في الزَّاوية ويوصيهم خيراً ببعضهما البعض، حتّى أنَّ أهل تماسين اعترفوا بهذا الفعل والجميل وأطلقوا على خلفاء الإمام التَّماسيني ومنهم الشَّيخ أحمد التِّجاني التَّماسيني اسم (أَبَّا الشِّيخ) بتضخيم الباء، أيْ أبانا الشَّيخ[3].

وكذلك مساعدة المحتاجين والمديونين ومن به ضائقة، ومن ذلك: أنّ أحد أعيان تماسين أصيب بعوز وفقر وكساد في تجارته، واضطر إلى أن يبيع أغلى شيء عنده وهو غابة نخيله التي يعيل منها عائلته، والتي

---

[1] أماني محمد شريف عبد السلام، دور التعليم الجامعي في الحفاظ على القومي المصري، ص13.

[2] ده. برلنت محمد سلغريوفا، الإحسان ودوره في الأمن الاجتماعي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، م14، ع3، 2018، ص406، 407.

[3] مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص90.

أصبحت ذات مردود ضعيف، فأتى إلى الإمام التَّماسيني كي يبيعها إياه، واتصل بابنه علي الذي كان وكيلا على النَّخيل وعرض عليه الأمر، فقبل الوكيل واشتراها بثمن اتفقا عليه وتراضيا. ولما بلغ الخبر لمسامع الإمام التماسيني استدعى ابنه علي وزجره وقال له: ألا تعلم أنّ في عُرفنا لا يبيع الرَّجل غابته، لأنه انتقاص من مروءته ورجولته أن يتخلى على أهم أرزاقه إلا لأجل أكباده فردها إليه. فاستُدْعِيَ الرّجل إلى حضرة الإمام التَّماسيني وردّت له غابته وأعطاه مبلغا من النُّقود يعود به إلى تجارته، وطلب منه أن يأتي كل يوم إلى الزّاوية كي يأخذ ما يحتاجه من مؤونة حتى يتيسّر حاله"[1]. فقد أمّن له غذاء عائلته دون أي مقابل.

زد على ذلك توزيع الطعام على المحتاجين وعابري السبيل وخاصة في الفقرة الاستعمارية، فقد كان الشيخ محمد العيد الأول يخرج في كل يوم وقت الضحى عدائل التمر وتوزع على الفقراء وتسمى (النّوبة)، وبعد صلاة العشاء تخرج جفان الطعام وتوزع على مستحقيها دوما واستمرارا. أي التمر في النهار والكسكس في الليل وبذلك ضمن أهل المنطقة قوت يومهم[2].

كما كانت توزّع مؤونة شهرية في أول كل شهر قمري على بعض الفئات الاجتماعية. ومؤونة خاصة عند الولادة، فإذا أنجبت زوجة أحدهم يسرع إلى وكيل الزاوية لأخذ مؤونة النفاس من قمح وزيت وسمن وما تيسّر من المال لشراء اللحم، بالإضافة إلى الولائم التي تقدّم في المواسم للفقراء والضيوف الوافدين[3].

2- الأمن الاقتصادي:

ساهم شيوخ التجانية وعلى رأسهم الشيخ الحاج علي التماسيني في التنمية الاقتصادية وتحقيق الأمن الاقتصادي من خلال إيجاد مصادر للدخل ومناصب عمل للسكان لتأمين حياتهم من حيث المأكل والملبس والمسكن، وخاصة أن نسبة السكان المعرّضين للفقر في المناطق الصحراوية والريفية أكثر من غيرها، بل أكثر من ذلك حيث جعل أغلبهم أثرياء لأنهم ملّاك أراضي وأصحاب نخيل، فقد كانت النخلة سابقا رمزا للثراء.

أ- جهود الشيخ الحاج علي التماسيني:

أبدع الشيخ الحاج علي التماسيني في إيجاد نظام يضمن للإنسان العيش الكريم، ويكفيه الجوع والفقر، ويحقق العدالة الاجتماعية، والأمن الاقتصادي لمجتمعه، بل يمكنه تحقيق الأمن الإنساني للناس كافة، لو وجد هذا

---

[1] محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية، ص82.

[2] الصادق بن أحمد العروسي التماسيني التجاني، الشيخ سيدي محمد العيد الاول، تدقيق: أحمد العروسي التجاني، دار الجائزة، الجزائر، دط، 2021، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص52.

النظام آذانا صاغية واهتماما من طرف العلماء والباحثين، وصِيغَ كنظرية اقتصادية إسلامية مقابل النظرية الرأسمالية أو الاشتراكية، لأنه حقّق نتائج إيجابية على أرض الواقع.

نعم طبق الشيخ نظام الخمّاسة الذي استنبطه من القرآن الكريم –حسب وجهة نظرنا– لقوله تعالى: ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان**﴾[1]. هذا النظام الاجتماعي النافع الذي تساوى فيه الشيخ مع الفلاحين، فلم يكن مالكا غنيا وثريا ثراء فاحشا والفلاحون عبيدا عنده، كما كان حال نظام الإقطاع المجحف في زمنه، والذي كرّس الطبقية الاجتماعية وزاد من حدّة الفقر والجوع واستعباد النّاس، والذي جعل الفلاح عبدا لصاحب الأرض وكذلك أبناؤه، وحتى أحفاده.

فنظام الخمّاسة الذي أتى به الشيخ الحاج علي التماسيني وطبّقه على أرض الواقع يقوم "على أن يعمل الأجير عند صاحب الأرض مدة خمس سنوات مقابل الخُمُس"[2]

أي أنّ الخمّاس[3] يعمل عنده لمدة خمس سنوات، وكلما غرس مائة نخلة يعطى مردود عشرين نخلة منها، أو يُعوّض هذا المردود بأن يتركه ويعطى بدله خمس لينات (نخلات صغيرات) يزرعها في المكان الذي يريد، مع كمية من التمر تعوله لمدة سنة تسمى (العولة)، وبهذا يصبح صاحب ملك وأرض ولديه غابة، وإن أراد مواصلة العمل عند الإمام التّماسيني فله ذلك، وإن أراد التوقّف والعمل في غابته فله ذلك. وبهذه العناية بالخماسين كان الكثير يحبذون العمل في غاباته، لأنّه أحاطهم بالرّعاية، وحفظ حقوقهم الإنسانيّة في العيش بحرية وكرامة وعزة نفس دون إذلال أو تحقير[4].

وهو بعمله هذا حوّل العامل البسيط الذي ينتظر أجرة عمله كل سنة من غلة التمور إلى صاحب أملاك، وبذلك حافظ على الأمن الاقتصادي بشكل مستمر، لأنه شجّع على غراسة النخيل. كما ضمن العيش الكريم لمن في زمنه، ولكل من سيأتون من بعده، والدليل على ذلك أن زاوية تماسين ومنطقة وادي ريغ ووادي سوف لا تزال

---

[1] سورة الأنفال، الآية41.

[2] مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص141.

[3] الخمّاسين: مفردها (خمّاس) مشتقة من اللفظة العربية "الخمس"، وهو عبارة على عقد يبرم بين العامل وصاحب الغابة، يتعهد العامل بموجبه أن يعتني بكل غابة النَّخيل أو جزء منها، حيث توكل له عملية تذكيره وتنظيفه والسهر على سقيه وحمايته، حتّى ينقضي الأجل المبرم بينهما على أن يتحصل العامل على خمس المنتوج. (ينظر: مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص141. نقلا عن:

R.Montage «Etude du contrat de Khamessat»¸ mémoire du cheam¸paris¸1938¸p16.

[4] مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص141.

كل منها تنعم بخيرات النخيل، فحقق بذلك التنمية المستدامة لموارد البيئة، والتي تقوم على إبقاء الموارد والثروات للأجيال القادمة.

فهذا هو "جوهر الفكرة التي لم يعرفها العالم إلا حديثاً، فبدأ بتخصيص الندوات والمؤتمرات لها لما فطن له أخيرا من أهميتها لصالح الأجيال القادمة"[1]، بمعنى لا نستنزف موارد البيئة اليوم ونترك من يأت بعدنا في ضنك العيش. لهذا اختار النخيل لأنها تلائم المناطق الصحراوية وتقاوم الحرارة والجفاف، ولا تستهلك الكثير من الماء وكثيرة العطاء، وعطاؤها مستمر لسنوات طويلة، ما ساهم في حماية موارد البيئة للأجيال القادمة، والذي يتطلب منا اليوم جهودا مضافة للمحافظة عليها لمن يأت من بعدنا.

ب- جهود خلفاء الإمام التماسيني:

على نفس الطريق سار خلفاؤه -أبناؤه وأحفاده- من بعده، حيث واصلوا الاستثمار في المجال الزراعي وخاصة غراسة النخيل في مناطق متعددة بوادي ريغ ووادي سوف، حتى أن هناك إحصائية لأحد الرَّحالة الفرنسيين في زيارته للصَّحراء الجزائرية في النّصف الثَّاني من القرن التاسع عشر وهو يصف تماسين ويحصي ما بها من النَّخيل فقارب عددها إلى **26550** نخلة[2].

وبتنشيط شيوخ الطريقة التجانية حركة الزراعة في المنطقة، وتحويل العمال الأجراء إلى أصحاب غابات ومزارع نشطت حركة التجارة، فكان أرباب الإبل يأتون إلى تماسين ومعهم التين والسمن والقديد والبلوط للمقايضة مقابل التمور، ودامت هذه العادة إلى آخر الحرب العالمية الثانية وتبدلت الأحوال وصار النقل ميسورا على عربات النقل الميكانيكية[3]. ولا زالت إلى اليوم تجارة التمور.

كما نشطت حركة العمران، فاستخدمت جذوع النخل وجذورها وعراجينها وجريدها في مجال البناء، كما استخدمت أيضا في الصناعات التقليدية كصناعة السلال وغيرها.

والجدير بالذكر هنا التنويه بالرؤية الاستبصارية لشيوخ الطريقة التجانية الذين ركزوا على النخيل لتحقيق التنمية المستدامة، فمنتوج النخيل قادر على تنشيط الحركة الصناعية في المناطق الصحراوية في هذا العصر؛ عصر البحث العلمي، حيث أكدت الدراسات العلمية الحديثة على استخراج عشر منتوجات صناعية من التمر، وهذا العدد قابل للزيادة، حيث يمكن إنتاج القهوة من نوى التمر، وإنتاج السكر من الدقلة البيضاء، ومن تمر

---

[1] نافذ سليمان الجعب، دور التربية في تعزيز قيم التواصل الحضاري في عصر العولمة -رؤية من منظور إسلامي- جامعة الأقصى، فلسطين، ص42.

[2] محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية، ص78. نقلا عن:
Georges. Robert: **«Voyage a travers L'Algérie»**, Imprimerie de G.rougier, Paris, 1891, p379.

[3] ينظر: الصادق بن أحمد العروسي، الشيخ سيدي محمد العيد الأول، ص53.

الرطب يمكن إنتاج عسل التمر (الرُّب) ومربى التمر اللذان يفيدان في علاج فقر الدم، والشوكولاتة الصلبة أو السائلة والتي تقوّي جهاز المناعة عند الأطفال، ومرهم لشقوق الرجل، ومرطب لتجميل الوجه، وغير ذلك[1].

وكلها مواد طبيعية مائة بالمائة ما يعني إمكانية تصنيعها وتصديرها، وخاصة أن التوجه اليوم إلى المنتوجات الطبيعية بحثا عن الأمن الغذائي للمحافظة على صحة الإنسان، فلو تؤخذ هذه الصناعات بعين الاعتبار وخاصة مع توجه الدولة إلى الاستثمار في مجال العلم والصناعة وتشجيع الشباب على إنشاء مؤسسات ناشئة، فيؤسس مصنع لكل منتوج فإن الصناعة والتجارة ستزدهر في المناطق الصحراوية وخاصة مناطق الواحات، وهذا ما يعود بالنفع على الاقتصاد الوطني الجزائري، من جهة.

ومن جهة أخرى يتم القضاء على البطالة التي تمثل أخطر تهديد على الأمن الوطني الجزائري اليوم، لأنها تؤدّي إلى "انتشار اليأس والإحباط بين الشباب، وعدم شعورهم بالولاء والانتماء للوطن، وتفشي الانحرافات السلوكية والأخلاقية، كما أن شعور الشباب بالحرمان، وعدم وجود مصدر ثابت للرزق يدفعهم إلى اتباع طرق غير المشروعة لتحقيق أهدافهم كالتجسس وتجارة المخدرات، والعنف، ما يهدد أمن الوطن واستقراره"[2].

3- الأمن الوطني (الاستقرار):

يشير الأمن الوطني إلى تحقيق الأمن على المستوى الداخلي للدولة، وذلك بحمايتها من التهديدات الداخلية، وهو يتضمن الحدود والسيادة الإقليمية، ونظام الحكم السياسي، والقيم المهمة الواجب حمايتها داخل الدولة[3].

وهو في "التصوّر الإسلامي ليس حقّا إنسانيّا فقط بل هو فريضة إلهية، وواجب شرعي، وضرورة من ضرورات استقامة العمران الإنساني، بل هو أساس لإقامة الدين، فصلاح الدنيا بالأمن صلاح الدين، وليس العكس كما قد يحسب الكثيرون"[4].

ولهذا يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى الدخول في السلم كافة، وتجنّب الفتن فيقول تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين**﴾ (البقرة، 108). فالشيطان يحاول دائما أن يوقع بين الإخوة العداوة والبغضاء ليحصل الاقتتال ويضيع الأمن والسلام، ويهلك النسل والحرث.

---

[1] وجدت الباحثة هاته المنتوجات الصناعية للتمر مصنعة من طرف طلبة جامعيين بمخابر البحث بجامعة بشار، وذلك ضمن مشاركتها كرئيسة وفد جامعة الوادي ومشرفة عن نادي المعرفة والابتكار في المسابقة الوطنية للنوادي العلمية، والمنظمة من طرف جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي، أيام 21 و22 و23 فيري 2023.

[2] سعاد عطا فرج، البطالة في المجتمع المصري بين التحديات الاقتصادية والتداعيات الاجتماعية والأمنية، مجلة الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ع22، 2008، ص86.

[3] نجدت صبري ئاكرة يي، الإطار القانوني للأمن القومي "دراسة تحليلية، دار دجمة لمنشر والتوزيع، الأردن، دط، 2011، ص60

[4] محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، ص17.

ويؤكد الإمام الغزالي هذا المعنى بقوله: "إنّ نظام الدين بالمعرفة كالعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات، كالأمن، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق هذه المهمات الضرورية، وهي أن يأمن الإنسان على روحه وبدنه وماله ومسكنه وقوته، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، فبان أنّ مقادير الحاجة مما سبق شرط لنظام الدين"[1].

وقد حافظ شيوخ الطريقة التجانية كمجتمع مدني على الانتماء والهوية الوطنية والأمن الوطني، وكانوا دعاة أمن وسلام ومحبة وإحسان امتثالا لأمر الله تعالى، واقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم الذي "قام بإرساء دعائم الأخوّة والمحبّة حين أصلح بين الأوس والخزرج، وآخى بين الأنصار والمهاجرين، وبنى المسجد مقرّ الجماعة والألفة والرّحمة، وجمع الشّمل ونشر قواعد الأخلاق كالإيثار والتّسامح والتّعاون والتّضامن حتى صار أحدهم لا يرى لنفسه حقّا في ماله ورزقه إذا كان أخوه المسلم في حاجة إليه"[2].

فكان إصلاح ذات البين وإطفاء نار الفتنة دأبهم جميعا أينما كانوا وحيثما حلّوا، وحثُّ المقاديم والمريدين على السّعي في الإصلاح بين المتخاصمين دَيْدَنَهم، وذلك للحفاظ على أمن الوطن وعدم زعزعة استقراره. ومن الجهود التي قام بها شيوخ الطريقة التجانية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الشيخ أحمد التجاني التماسيني:

إن الأمن الوطني لا يقتصر على التحديات الداخلية، بل حتى التحديات الخارجية والتي يكون تهديدها أشد على الدولة، وقد أبلى شيوخ التجانية في هذا المضمار بلاء حسنا، وكمثال على ذلك تدخّل الشيخ أحمد التجاني التماسيني في قضية فصل الصحراء.

حيث كان مسعى ديغول الاستعماري إلى آخر لحظة مصرّا على بقاء الجزائر تحت ربقة فرنسا، وإن لم تكن كلّها فيكفي الاحتفاظ بالجنوب؛ مصدر الثروة الباطنيّة ومحرّك الاقتصاد الفرنسي، وقد عبر بذلك بقوله: "إن البترول هو فرنسا، ولا شيء غير ذلك"[3].

فاقترح عريضة تقر وتؤكّد على بقاء الصحراء جزءا لا يتجزّأ من فرنسا، ومارس ضغطا كبيرا على المجلس العمالي الذي يمثل أعيان الجنوب من أجل الموافقة على هذه العريضة؛ بالتّرغيب والتّرهيب. أمّا الأوّل فباقتراح

---

[1] محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص128.

[2] عبد الباقي التجاني، قيم المواطنة عند الصوفية "الشيخ سيدي أحمد بن حمه التجاني التماسيني أنموذجا" ضمن كتاب الفرد الواعي ضمان لبناء المجتمع واستقرار الوطن، محاضرات الجامعة الصيفية للزاوية التجانية بالوادي، جمع: أيمن معيزة، أحمد غريسي، دار الجائزة، الجزائر، 2016، ص 30.

[3] مسعود كواتي، محاولات ديغول لفصل الصحراء، ص150.

ملك الصّحراء من أعيان الجنوب، وذلك لإغرائهم بالمنصب، وأمّا الثاني فبالتخويف والإكراه. وكل ذلك من أجل الدخول في مفاوضات إيفيان التي ستعقد ما بين 7 و18 مارس 1962 بورقة رابحة تقصم ظهر الحكومة المؤقتة وجبهة التّحرير، وهذا ما أكّده الملازم شنوفي محمد[1].

وأمام هذا الخطر الجسيم الذي كان يهدد الجزائر في تلك الحقبة؛ يهدّد وحدتها ووحدة مجتمعها، يهدّد أمنها الاقتصادي ويحرمها من خيراتها ومواردها، يسدّ أمامها أي منفذ للتنمية مستقبلا. وقف الشيخ أحمد التجاني التماسيني[2](1898– 1978) مع أعيان الجنوب ضد قضية الفصل بكل قوّة، فكان أول من رفض هذه القضية وأول من قدم عريضة كتابية ضد الفصل لأنه كان عضوا بالمجلس الجزائري آنذاك وممثّلا عن منطقتي؛ وادي ريغ ووادي سوف.

وقد نشرت الجريدة الرسمية الفرنسية حول الموضوع، وتحدثت عن مداولات المجلس الجزائري حول مشروع لائحة ضد اقتطاع الصحراء من الجزائر وإلحاقها بفرنسا، والتي قدّمها بعض أعضاء المجلس، من بينهم: أحمد التجاني، وقد أيّد هذه اللائحة نوّاب الحركة الوطنية في المجلس منهم: مصطفى فروخي وقدور ساطور. وتسلّم الكاتب العام الفرنسي للمجلس هه اللائحة من الشيخ التجاني وسجّلها، فأصبحت بذلك أمرا واقعا، فعاقبت السلطة الفرنسية هذا الكاتب لتسلّمه اللائحة وتسجيلها[3].

---

[1] محمد شنوفي، دراسات وبحوث، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة أول نوفمبر، العدد 179، مارس 2015.

[2] هو شيخ الطريقة التجانية بتماسين، ولد سنة 1898، حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ الفقه واللغة والتصوف على علماء كُثُر، كما تعلم اللغة الفرنسية على الأستاذ عبد القادر بن البشير بن الهادي._اعتلى مشيخة الزاوية سنة 1927، كما أجازه كل من العلامة محمد الطاهر بن عاشور، والمحدّث عبد الحي الكتاني. وقد مدحه شاعر الثورة مفدي زكريا لما زارهم بالقرارة سنة 1946. له عدّة مراسلات ولقاءات مع رجال السياسة، من بينهم: ملك المغرب محمد الخامس، بايات تونس، رئيس المفوضية الدولية للاجئين؛ صدر الدين آغا خان، فرحات عباس... اهتمّ بالعلم والتّعليم حيث أرسل عدة بعثات علميّة إلى جامع الزيتونة للدّراسة على نفقته، قدّم مساعدات ماديّة ومعنويّة كثيرة للجمعيّات الخيرية والعلمية، منها: جمعية العلماء المسلمين، جمعية الإغاثة بتوزر، المعهد الإسلامي بالوادي. (ينظر: علي غريسي، أعلام وأختام، مطبوعات الزاوية التجانية بتماسين، مطبعة sip، كوينين، الوادي، 2013، ج1، ص55، 74).

[3] الجريدة الرسمية رقم 54، بتاريخ 5 جويلية 1952. (Journal Officiel De L'Algerie, n54, 05 juiller1952)، أرشيف الزاوية التجانية تماسين مع تعليق المجاهد محمد العيد محمدي. (ينظر: أحمد غريسي، دور الخليفة الشيخ سيدي أحمد التجاني التماسيني في الحفاظ على الوحدة الترابية الوطنية، ضمن كتاب أعمال الندوة التاريخية حول: وادي ريغ والنضال الثوري "الزاوية التجانية بتماسين أنموذجا"، جمع: أحمد غريسي، دار المجدد، 2019، ص63.)

ولم يكتف الشيخ بذلك؛ بل واصل مسعاه من أجل وحدة تراب الجزائر، فعندما عيّنت فرنسا الوزير المكلّف بشؤون الصحراء (ماكس لوجون) منفذا لفكرة الفصل، رفض القضية وتكلّم في الموضوع ولم يخف ولم يخش فرنسا، وكان ذلك في دورة المجلس العمالي بورقلة خريف 1960 بشهادة الشيخ عمر بيوض[1].

وللضغط على الشيخ أحمد التجاني التماسيني للعدول عن موقفه تذكر صحيفة المجاهد لسان حال الثورة؛ أن فرنسا سعت بواسطة أعوانها للحصول على تأييد الشخصيات المحلية الصحراوية من أجل فصل الصحراء واستعملت الإغراءات والتهديدات ولكنها لم تحقق هدفها، فطلبت من الأوساط الاستعمارية المكلفة بذلك بالقبض على أحد رؤساء الزاوية التجانية[2]. فتم القبض على ابني الشيخ أحمد التجاني؛ محمد الطيب التجاني الذي كان مسؤولا عن توصيل الأموال في المنطقة الثانية، والذي ألقي عليه القبض في نوفمبر 1961، وبعد أيام ألحق به أخوه محمد الحافظ الذي كان يدرس بفرنسا[3].

وبالرغم من كل الضغوط، ومن سجن ابنيه إلا أن الشيخ لم يتراجع عن موقفه أبدا، وواصل العمل ضد قضية الفصل، فخطط مع عضو الثورة الملازم محمد شنوفي في لقاء جمع بينهما في ضريح الشيخ الحاج علي التماسيني للمظاهرات ضد الفصل الداعمة لرأيه، وبحضور عضو مجلس العمالة حمزة أبوبكر أيضا، والتي نظمت بورقلة في 27 فيفري 1962 [4].

وفي ذلك يقول حمزة أبوبكر رئيس مجلس عمالة الواحات: "... **والواقع هو أني مستطيع بأن أشهد على نفسي بما هو في علمكم أني لم أتدخل ولا سأتدخل في موضوع المستقبل الصّحراوي بأيّ صفة تخالف موقف جميع أهل الصّحراء وأنت أفضلهم...**"[5].

فالشيخ أفضل من تكلم عن قضية فصل الصحراء حسب هذه الرسالة، لأنه أوّل من نطق ورفض الفصل بكل قوّة، وما يؤكّد صحّة ما ذهبنا إليه هذه الوثيقة التاريخية الثانية؛ التي تمثل كلمة للشيخ أحمد التجاني قالها بمناسبة تأبين الدكتور أحمد ناجح ببلدة كوينين ولاية الوادي، والتي جاء فيها: "**لم أنس وقت الثورة المباركة اليوم الذي طرح علينا رئيس المجلس العمالي بورقلة مسألة فصل الصحراء من الجزائر ذلك الموقف الحرج**

---

[1] عمر بيوض، أعمالي في الثورة، جمعية التراث، القرارة، غرداية، ص35. والجريدة الرسمية في 05 جويلية1952.

[2] عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج2، ص39، 40. نقلا عن: صحيفة المجاهد، ع89، بتاريخ 16/ 01/ 1962. وينظر: أحمد غريسي، دور الخليفة الشيخ سيدي أحمد التجاني التماسيني في الحفاظ على الوحدة الترابية، ص59.

[3] عبد المالك تجاني، دور رجال الطريقة التجانية في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر، الملتقى الدولي للإخوان التجانيين، الجزائر، 23، 24، 25 نوفمبر 2006، ص07، 08.

[4] أحمد غريسي، دور الخليفة الشيخ سيدي أحمد التجاني التماسيني في الحفاظ على الوحدة الترابية الوطنية، ص63.

[5] المرجع نفسه، ص67. نقلا عن: علي غريسي، أرشيف الزاوية التجانية بتماسين.

الصعب فكنت أنا أول من عارض رئيس المجلس العمالي بقولي نحن لا نورط أنفسنا هذا التوريط، ولا نقتل أنفسنا بأيدينا ... نحن لا نقبل ولا نرضى بفصل الجزائر عن الصحراء، إذ الجزائر والصحراء جزءًا لا يتجزأ، ولا يرضى أهل الصحراء قاطبة أن ينفصلوا عن أمهم ووجدت والحمد لله أمثالكم ممن أيدوني كما أشكر السادة الملثمين التوارق الذين قاموا من مقاعدهم وقالوا بلسان واحد نحن نؤيد ما قاله أحمد التجاني..."[1].

وقف الشيخ أحمد التجاني التماسيني بقوة ضد قضية فصل الصحراء، ولم يرضخ للضغوط ولم يتراجع بسجن ابنيه، ولم يُغْرِهِ ملك الصحراء ولا السلطة ولا أموال البترول والغاز، بل كانت تهمه الجزائر؛ وحدتها وثرواتها وخيراتها لأنه كان وطنيّا؛ محبا لوطنه، غيورا عليه، ساعيا لوحدته؛ أرضا وشعبا.

وبذلك حافظ الشيخ على وحدة التراب الوطني، وعلى الجزائر؛ وطن واحد لا يتجزأ، حمى بلاده من التقسيم والتمزيق والتشتيت، حقق الأمن الاقتصادي بالحفاظ على ثرواتها؛ الغاز والبترول الموجود بالصحراء لتنعم به الجزائر وشعبها كاملا.

ضرب الاستعمار في مقتل حين منعه من سرقة خيرات الجزائر، حافظ على الجزائر وعلى مواردها المالية التي حققت لها التنمية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، وبذلك حقق الأمن القومي، لأن هذا الأخير يتمثل في وحدة الدولة كما يقول مورغنثاو: "وهكذا تصبح المصلحة القومية هي البقاء الذي يعني وحدة أراضي الدولة ومؤسساتها السياسية وثقافتها... وتعني القوة التي تمثل جوهر الأمن القومي للدولة وهو على رأس الأولويات"[2].

حافظ على الأمن القومي وقدّم خدمة جليلة لوطنه الجزائر، وإن لم ينصفه المؤرخون الجزائريون[3]، ولم يعترفوا بفضله مع أنّ العقيد شعباني قائد الولاية السادسة حين استدعى أعيان الجنوب للحضور إلى ملتقى الشارف بولاية الجلفة في شهر أفريل 1962 من أجل بدء الحملة التوعوية والتحضير لاستفتاء 1 جويلية 1962، قال فيه: "يكفي الشيخ أحمد التجاني شرفا موقفه التاريخي حول مصير الصحراء"[4]. وأصدر أمرا بأن يكون انطلاق

---

[1] المرجع السابق، ص66. نقلا عن: علي غريسي، أرشيف الزاوية التجانية تماسين.

[2] ينظر: دورتي جيمس، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحسي، مركز أحمد ياسين، عمان، 1995، ص62.

[3] المؤرخون الجزائريون الذين يتهمون الطريقة التجانية بالخيانة كذبا وزورا، فلو كانت كما قالوا لقبل شيخها؛ الشيخ أحمد التجاني التماسيني فكرة الفصل وساندها، ولكان ملِكا على الصحراء دون منازع، ولكانت أموال البترول والغاز بين يديه يفعل بها ما يشاء. ولكن رفضه كل شيء وخاصة الملك والسلطة لأجل الجزائر دليل على وطنيّته وإخلاصه لبلده الجزائر.

[4] بشير طهراوي، الشيخ أحمد التجاني التماسيني "حياته ونضاله (1898– 1978)، دار الجائزة، الجزائر، 2021، ص165.

الوافدين من ناحية وادي سوف ووادي ريغ من زاوية تماسين اعترافا للشيخ أحمد التجاني التماسيني بجميل مواقفه من أجل الثورة والجزائر[1].

ب- الشيخ محمد البشير التجاني:

ومن الجهود المبذولة في هذا المجال أيضا دور الشيخ محمد البشير التجاني في فترة العشرية السّوداء؛ حين عصف الإرهاب بالبلاد، وهو من أخطر الجرائم وأكبر التحديات التي يمكن أن تؤثر على الأمن القومي للمجتمع وسلامته واستقراره، لما له من آثار سلبية على حياة المواطنين ومصالحهم. فالإرهاب هو " كل فعل يمارسه أفراد أو جماعات أو دول ويمثل عدوان أو تخويف أو تهديد بشكل مباشر أو غير مباشر، بهدف زعزعة أمن المجتمع واستقراره أو الإخلال بالنظام العام للدولة، أو تعريض وحدتها الوطنية للخطر أو تعطيل نظام الحكم الأساسي، أو الإساءة لسمعة الدولة، أو إلحاق الضرر بمرافقها أو مواردها الطبيعية، أو مصالحها الاقتصادية"[2].

وللإرهاب آثاره السلبية على الأمن القومي، والتي تتمثل في تهديد الاستقرار السياسي والأمن الداخلي للدولة، وتعريض حياة المواطنين للخطر، واستنزاف الموارد الاقتصادية، وهروب الاستثمارات الأجنبية، وزيادة نفوذ وتدخل بعض القوى الأجنبية تحت مظلة الحرب على الإرهاب، وحماية الأقليات، بالإضافة إلى إضعاف الموقف السياسي والدبلوماسي للدولة في إدارة سياستها الخارجية[3].

لذا فإن مواجهة هذا الإرهاب والقضاء عليه يتطلب ضرورة تضافر كافة الجهود المجتمعية للحد من انتشاره والحفاظ على كيان الدولة وأمنها واستقرارها، فساهم شيخ الطريقة التجانية؛ الشيخ محمد البشير التجاني من خلال خطاباته ولقاءاته مع المريدين والأحباب التي تحثّ على اجتناب الفتن والابتعاد عليها، وعدم الدّخول في أي صراع أو جدال، والصّبر لمن أصاب الإرهاب أحد ذويه أو أقاربه ويحتسبه عند الله ولا يُعامل بالمثل، وبذلك حافظ على الأمن الوطني قدر المستطاع؛ إذ لم يحمل مريد تجاني واحد السلاح ضد وطنه أو مجتمعه، ولم يشارك أيٌّ منهم في أعمال إرهابية والتاريخ يشهد على ذلك.

ج- الشيخ محمد العيد التجاني الثالث:

ساهم الشيخ الحالي للطريقة التجانية؛ الشيخ محمد العيد التجاني في حل نزاعات داخلية شكلت خطرا على الجزائر، لأنها كادت أن تؤدي إلى حروب أهليه، من ذلك: النّزاع الذي وقع بمدينة تقرت سنة 2012 بين بلدتي

---

[1] أحمد غريسي، دور الخليفة الشيخ سيدي أحمد التجاني التماسيني في الحفاظ على الوحدة الترابية الوطنية، ص68.

[2] أماني محمد شريف عبد السلام، دور التعليم الجامعي في الحفاظ على القومي المصري، ص25.

[3] وائل مصطفى العراقي، الاستراتيجية المستقبلية لمواجهة ظاهرة الإرهاب لدعم متطلبات الأمن القومي، مجلة البحوث المالية والتجارية، كلية التجارة، جامعة بور سعيد، مصر، ع1، 2013، 508، 509.

(بلدة عمر) و(قوق) والذي خلّف خسائر بشريّة ومادّيّة كثيرة، إذ أصلح بينهم وتمّ عقد الصّلح في زاوية تماسين بتاريخ 28 أوت 2012 الموافق لـ 10 شوّال 1433هـ، وبذلك حقنت الدماء وحافظ على المجتمع واستقراره[1].

كذلك النّزاع الذي حدث بين العرب وبني ميزاب بولاية غرداية، والذي شغل الدّولة أيّما انشغال لأنه مثّل تهديدا داخليا عليها قد ينجر عنه حربا ضروسا لا تحمد عقباها، وخاصة مع وجود دول خارجية متربصة بالجزائر وتسعى إلى إخلال الأمن بها. ولكن ولله الحمد استطاع الشيخ محمد العيد التجاني أن يحلّ الخلاف، فأيقظ همم الإخوان واحتوى الجميع في كنفه، وأدركت الضّمائر الحيّة أنّ الحلّ في نبذ الخلاف والرّجوع إلى نقاط الاتّفاق، والبعد عن المشاكل والأزمات، وبذلك حافظ على أمن المجتمع واستقراره والأمن الوطني.

واعترافا لأهل الفضل بالفضل والجميل أَبَى أعيان (تقرت) و(غرداية) إلا أن يكرّموه لإحلاله الأمن والسلام بالمنطقتين، فَمُنِح وسام الاستحقاق للسّلم والإصلاح يوم 26 ديسمبر 2015 بمناسبة ذكرى المولد النّبوي الشّريف إثر فعاليّات النّدوة العلميّة: "التّصوّف وقضايا العصر"[2].

فإصلاح ذات البين من الأمر بالمعروف الذي أمر الله به عباده، وجعل فضله عنده عظيما لأنّه جامع لأنواع الخير، ويتعدّى نفعه للغير، ويعمّ الدّين والدّنيا، ويبعث في النّفوس الطّمأنينة وفي المجتمع الاستقرار، وهو ينبوع المودّة والألفة، ومصدر الاتّحاد والأخوّة والتّلاحم بين النّاس[3].

4- الأمن العلمي والثقافي:

يشمل المعنى المجتمعي للأمن القومي الجانب الثقافي بمعنى الدفاع عن قيم ومثل ومفاهيم وأنماط حياة معينة أو أفكار واعتقادات وانتماءات، فالمجتمع المتعلم الواعي الذي يتمتع بمستوى مرتفع من الأخلاق، والمثل العليا، والعلم النافع، قادر على مواجهة الجريمة، ومقاومة الانحراف، والحفاظ على أمنه القومي[4].

---

[1] قدّم أعيان مدينة تقرت رسالة شكر وعرفان للشيخ محمد العيد التجاني، هذا نصّها: "إنّ أعيان مدينة تقرت الكبرى تتقدّم بجزيل الشّكر والتّقدير والعرفان على الدّور الذي لَعِبَه شيخ الزّاوية في تهدئة الأوضاع بين الجانبين من أجل تحقيق السّلم والمصالحة كما نشيد بدور السّلطات المحلّيّة والإداريّة والأمنيّة على المجهودات المبذولة والتّنسيق مع شيخ الزّاوية في سبيل إنهاء الاحتقان ومعالجة المعضلة". (ينظر: أمينة تجاني، خطابات الشيخ محمد العيد التجاني، ص20).

[2] أمينة تجاني، خطابات الشيخ محمد العيد التجاني، ص20.

[3] المرجع نفسه، ص19.

[4] علي بن فايز الجحني، نحو رؤية تصورية بنائية لإدخال مادة الأمن العربي في الجامعة العربية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، م18، ع36، 2002، ص101.

واجه شيوخ الطريقة التجانية تحدّي الجهل والأمية قدر المستطاع لكونهما يؤثران بشكل مباشر على تنمية الإنسان في مختلف المجالات، كما أنهما يعيقان تطوير حياة الأفراد وتحسين ظروفهم الصحية وزيادة دخلهم، ما ينعكس سلبا على أمن المجتمع وتماسكه واستقراره.

فكان لهم الفضل في رفع المستوى العلمي بمنطقة صحراوية بعيدة عن مراكز العلم ومرابض المعرفة، وذلك من خلال جلب بعض العلماء الأجلاء وأكابر الفقهاء والشيوخ الفضلاء، وجعل لهم حلقات تدريس وتعليم وتلقين للعلوم المختلفة كالفقه والعقيدة والسيرة والتصوف والسلوك والواعظ والنوازل والمواريث، واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والتفسير والحديث... وكانوا يتكفّلون بهؤلاء العلماء وكل ما يحتاجون إليه، ويشجّعون الطلبة المتفوقين بالهدايا والهبات والتقدير والاحترام[1].

وفي ذلك يقول الشَّيخ إبراهيم العوامر في كتابه (الصُّروف في تاريخ الصحراء وسوف): "وببلدة تماسين الزَّاوية التِّجانية الشَّهيرة وإخلاصاً للحقيقة التَّاريخية؛ إنَّ رجال الزَّاوية التِّجانية المذكورة قاموا بدورٍ عظيم في سبيل حفظ القيم الإسلامية والرُّوح العربية في هذه الرُّبوع ... وإليهم يرجع الفضل في تمسك منطقة تقرت بعروبتها وإسلامها"[2].

وقد ساهم كل الشيوخ في تحقيق الأمن الثقافي بشكل مستمر منذ الشيخ الحاج علي التجاني حتى الشيخ الحالي؛ الشيخ محمد العيد التجاني، ما يؤكد على أنهم مجتمع مدني فاعل وإيجابي يخدم وطنه ومجتمعه والصالح العام وإن لم يقدّر مجهودهم، فعملهم خالص لوجه الله تعالى.

أ- جهود الشيخ الحاج علي التماسيني:

اهتم الإمام التماسيني بنشر العلم بين أفراد مجتمعه المحلي، فجلب المدرّسين من وادي سوف والمغرب وشنقيط وغيرها، نذكر منهم: المولى السَّعيد الفاسي الذي كان مُتقناً لعلوم القراءات بالرِّوايات السَّبع ومُتبحِّراً في الفقه واللغة وغيرها من الفنون، والذي تخرّج على يده أبناء الشَّيخ الذين حفظوا القرآن الكريم، والعالم أحمد بن عمار التَّغزوتي أحد تلاميذ خليفة بن حسن القماري الذي تولّى التعليم والإفتاء، والشَّيخ الأخضر بن حُمانة القماري الذي تولى التعليم والقضاء بالزَّاوية، والشيخ علي السَّوداني دفين تماسين الذي درَّس الفقه والحديث واللغة والكيمياء والفلك وسرَّ الحرف وغيرها[3].

---

[1] بشير طهراوي، الشيخ أحمد التجاني التماسيني، ص64.

[2] العوامر إبراهيم محمد السّاسي، الصروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تع: العوامر الجيلاني بن إبراهيم، منشورات تالة، الجزائر، دط، 2007، ص33، 34.

[3] الصادق بن أحمد العروسي، العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، ص69.

كما كان للعلماء القادمين إلى الزاوية بحثا عن التَّربية السُّلوكية الكاملة والحقيقة المحمَّدية التَّامة في منهج الشَّيخ أحمد التِّجاني وطريقة تربيته عند وصيه باع في التّدريس بهاته الزاوية، نذكر منهم: العلامة المختار السُّوداني وابن بابا الشِّنقيطي اللذان درَّسا مختصر الشَّيخ خليل وبعض شروح الألفية، كذلك الشَّيخ عُمر العلاني القيرواني التُّونسي الزَّيتوني الذي كان يُدرِّسُ في كل مرة يَقْدم فيها لزيارة تماسين[1].

ب- جهود الشَّيخ محمد العيد الثَّاني[2]:

يعد أوّل من أسّس مدرسة عربية عصرية بمنطقتي وادي سوف ووادي ريغ سنة 1919، وفيها درَّس العلَّامة الشَّيخ محمَّد اللقاني بن السَّايح لمدة سبع أو عشر سنوات على نظام المدارس الابتدائية بتونس، حيث جدَّد فيها خطة التَّعليم بأسلوب متميِّزٍ لم يَسبق له نظير[3]. فدرَّس اللغة، الأدب، التَّوحيد، الفقه، التَّاريخ، الحديث، والتَّفسير، والمنطق. وتخرج على يده الكثيرون. ولكنه رجع إلى تونس بسبب مضايقة الاستعمار الفرنسي له. وممن درَّسوا أيضاً الشَّيخ محمَّد مناشو أحد كبار علماء الزَّيتونة البارزين، والعلامة محمَّد بن جديدي السُّوفي من الوادي، والشَّيخ محمَّد الطاهر بن عمارة شوشان الجريدي التُّوزري[4].

ج- الشَّيخ أحمد التجاني التماسيني:

واصل الشيخ أحمد التجاني التماسيني طريق من سبقه من شيوخ التجانية، مِنْ جلب العلماء ونشر العلم وتعليم الناشئة، وقام بتأسيس المدارس بالزاوية والمناطق المجاورة لها، فإلى جانب التعليم القرآني الذي يقوم به معلّمو القرآن ومؤدّبي الصبية، فإنه أسس المدرسة العرفانية بالزاوية وأوكل إدارتها إلى الأستاذ أحمد العروسي التجاني الذي كلّفه بالسّير على منهج اللقاني في التعليم[5].

كما ساهم في تأسيس مدرسة حديثة تدرس اللغة الفرنسية بتملاحت قرب زاوية تماسين سنة 1937، وكان تمويلها على نفقة الشيخ، وكانت هذه المدرسة تقدم الدروس المسائية للكبار. وقد كان هدف الشيخ نشر العلم

---

[1] مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص 128.

[2] شهد في حقه الشّيخ محمّد علي دبوز فيما سمعه من شيخه إبراهيم بن عمر بيوض، فقال: "... كان ذكياً أديباً مُثقفاً، غيورا كل الغيرة على الإسلام والمسلمين، يكره البدع وينشر الإصلاح وينفخ في أتباعه روح الدِّين الصَّحيح، وكان يدعو إلى العمل والنُّهوض والتَّقدم..." (ينظر: دبوز محمَّد علي، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج1، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976، ص50).

[3] عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، كوينين، الوادي، ص181.

[4] مروة التجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص131، 132. وبشير طهراوي، الشيخ أحمد التجاني التماسيني، ص65.

[5] بشير طهراوي، الشيخ أحمد التجاني التماسيني، ص67.

على أوسع نطاق ومحاربة الجهل بشتى الوسائل، ولو بلغة العدو عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم لغة قوم أمن شرهم". وقد كانت هذه المدرسة بالموازاة مع المدرسة العرفانية التي تدرس العربية والدين[1].

وهذه إشارة إلى أنَّ الزَّاوية لم تكن منغلقة على نفسها أو تريد مجدها الذَّاتي بتعليمها لأبنائها، بل على العكس، كانت منفتحة جداً، إيمانا منها بخدمة المجتمع والأخذ بيده إلى النُّضج والنُّمو والازدهار عن طريق التَّعلُّم (عربي ـ فرنسي) ومواكبة العصر، وكانت أولُ المسجّلات في هذه المدرسة ابنة الشَّيخ؛ عائشة التِّجاني، وهي إشارة ثانية من الزَّاوية ومشايخها المؤمنين بدور المرأة في النُّهوض بالمجتمع وتحصينه وبنائه بناءً متينًا، كما أنَّها مبادرة تمثّل مَثَلًا أعلى يحتذى به؛ متمثلاً في سلوك شيخ الزَّاوية نفسه في تعليم أبنائه وبناته، لأنَّ التَّربية السَّليمة تكون عن طريق القدوة[2].

كما ساهم في تأسيس مدرسة النهضة سنة 1945، وكان مقرها جناح بدار الأستاذ السايح حقي التجاني؛ أحد أبناء الزاوية الذي وهب جزءا من داره ليكون مدرسة للتعليم والتنوير[3]. كما أنه ساهم في إنشاء جمعية الفلاح وتأسيس مدرسة الفلاح بتقرت سنة 1946، وقد كان لهذه المدرسة الفضل في تنظيم وتشجيع البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة، ولذلك صارت مكانا للتكوين السياسي وبناء الروح الوطنية[4].

وبطلب من أعيان تماسين بفتح مدرسة على غرار مدرسة تقرت، أسّس الشيخ مدرسة النجاح في قصر تماسين سنة 1947 تحت ذريعة مدرسة قرآنية لأن السلطات العسكرية تمنع إنشاء المدارس العربية الحرة، وقام بالتدريس فيها الأديب محمد الأخضر السائحي الذي درّس اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والسيرة والأناشيد، واستعان بالشيخ الصادق التجاني والشيخ السعيد العبيدي لتدريس الحساب والعلوم[5].

كما شجع مريده عبد الكريم بلعبيدي على افتتاح مدرسة عربية حرة من قسم واحد ملحق بمسجد التجانية ببسكرة سنة 1951، وحين لقي إقبالا كبيرا من طرف السكان أضاف إليه قسما ثانيا بالمسجد[6].

---

[1] المرجع السابق، ص70.

[2] مروة تجاني، زاوية تماسين بالجزائر وتربية المريد، ص134.

[3] بشير طهراوي، الشيخ أحمد التجاني التماسيني، ص69.

[4] المرجع نفسه، ص94.

[5] عبد الحميد قادري، مساهمة الشيخ السائحي في الحركة التنويرية بوادي ريغ، مجلة واحة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية ورقلة، ورقلة، 2009، ص44.

[6] بشير طهراوي، الشيخ أحمد التجاني التماسيني، ص96.

كما ساهم في إنشاء المدرسة الشعبية، وهي مدرسة خاصة بالتعليم العربي الحر، والكائنة بمنطقة عين البيضاء بأم البواقي[1]. كما قام بإرسال بعثات علمية إلى جامع الزيتونة بتونس العاصمة أو بفرعها بتوزر (بالجريد التونسي) للدراسة والتحصيل، وكانت تكاليف هذه البعثات على عاتقه، وساعد الكثير من الطلبة للالتحاق بالدراسة به، من أولئك: الشيخ محمد بن سليمان حمداوي الذي أسكنه بالزاوية التجانية بتونس وضمن له المدد المادي.

وعمل على بناء حجرة دراسية في فرع جامع الزيتونة بتوزر سنة 1947، وأرسل له شيخ الجامع الأعظم؛ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رسالة شكر على ما قام به[2].

5- الأمن التربوي والروحي:

أدت التطورات على الساحة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية، إلى حدوث تغيير كبير في مفهوم الأمن القومي، فلم يعد يُنظر إلى القوة العسكرية كمصدر وحيد للحفاظ على أمن الدولة وسيادتها كما كان في الماضي، بل أصبح يُنظر إلى الأمن القومي كقضية مجتمعية ذات أبعاد متعددة، ترتبط بكافة جوانب المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمادية والتنموية، ومن ثَمَّ فإنّ تحقيق الأمن القومي بهذا المفهوم الجديد، يتطلب ضرورة بناء القوة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والإعلامية اللازمة، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا من خلال التربية، فهي السبيل الوحيد لتحقيق الأمن القومي[3].

خاصة في هذا العصر؛ عصر العولمة والاختراق الفكري، وأزمة التغير في منظومة القيم، هاته المنظومة التي ظلت في المجتمع الجزائري إحدى أدوات الضبط الاجتماعي، وآلية للاستقرار والتوازن، ومصدرا للإلهام الحضاري والثقافي ومحددا لشكل العلاقات الإنسانية وأنماط التفاعل بين أفراده، ولكنها اليوم معرضة للتغيّر بقيم لا تمتّ لنا بأيّ صلة، وهذا ما يؤدي إلى زعزعة أمن واستقرار المجتمع.

ولا نجد سبيلا للخلاص من هذا التهديد إلا بالتربية الصوفية التجانية التي مارسها شيوخ الطريقة التجانية للمحافظة على القيم الأخلاقية للمريدين داخل المجتمع، فكل الجهود المبذولة من طرفهم ومن طرف أتباعهم في خدمة البلاد والعباد والحفاظ على الأمن القومي الجزائري، فهو من منطلق التربية الروحية؛ التربية بالإحسان الذي يمثل المقام الثالث من مقامات الدين، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه وغن لم تكن تراه فإنه يراك". فالإحسان هو الكمال في التطبيق العملي للدين، والكمال في

---

[1] المرجع السابق، ص102.

[2] المرجع نفسه، ص69، 70.

[3] أماني محمد شريف عبد السلام، دور التعليم الجامعي في الحفاظ على القومي المصري، ص02.

الأخلاق الذي له دور في السلوكيات والتصرفات كما له شأن كبير بعلاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبغيره، ويمس جوانب حياة المسلم كلها المادية والروحية.

وهو "مرتبة إيمانية يترقى فيها المسلم، بحيث يشعر بمراقبة الله تعالى له في كل لحظة؛ في العبادة والمعاملة، ويسعى للوصول إلى الكمال في كل شيء؛ في المعتقد، في العبادة، في السلوك والتعامل مع الناس، في العمل، وبالتالي فهو من العوامل المهمة التي تحقق الأمن الاجتماعي، سواء أكان إحسانا اعتقاديا، أو أخلاقيا، أو كان إحسانا ماديا"[1].

ولهذا فقد تمكّن شيوخ الطريقة التجانية من تحقيق الأمن بكل صوره بفضل التربية الروحية التي ظفروا بها، وبناء عليها قاموا بتربية المجتمع المحلي عامة والمريدين خاصة تربية روحية تجانية تقوم على أسس ثلاث؛ علم وعمل وعبادة، وذلك لتكوين العنصر البشري المؤهل والقادر على العمل من أجل تحقيق الأمن القومي الجزائري، لأنّ النفس إذا تربّت على الأخلاق المحمدية وعلى الشرف والفضيلة صارت للإحسان معتادة، يقول الماوردي: "إذا شرفت النفس كانت للمحاسن طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجها صارت طبعا ملائما"[2].

ومن هنا تبرز أهمية التربية بوصفها الطريق الأمثل القادر على إعداد نوعية مؤهلة ومتميزة من القوى البشرية يمكنها الوفاء بمتطلبات التنمية والعمل على تحقيق الأمن القومي والمحافظة عليه والعيش في ظله، ولذلك لابد من تربية الإنسان على مبدأ الإحسان، لما له من أثر كبير في تحقيق الأمن في المجتمع واستقراره.

ووضع مشروع تربوي قائم على ثقافة الإحسان يستثمر المنهج التجاني وأسسه الثلاث للمحافظة على الرأس المال البشري الجزائري في هذا العصر، فقد أكد ميكافيللي على حاجة الحاكم إلى تبني مقاييس أخلاقية تختلف عن تلك التي يتبناها الفرد العادي، وذلك لضمان أمن الدولة وبقائها[3].

الخلاصة:

في ختام هذا البحث نستخلص النتائج الآتية:

إن الأمن القومي لم يعد يقتصر على الأمن الدفاعي العسكري فقط، بل تعدّاه إلى الأمن التنموي في كل القطاعات؛ الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية والعلمية.

---

[1] برلنت محمد سلغريوفا، الإحسان ودوره في الأمن الاجتماعي، ص399.

[2] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدين والدنيا، دار مكتبة الحياة، 1986، ص319.

[3] ينظر: دورتي جيمس، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحسي، مركز أحمد ياسين، عمان، 1995، ص70.

إن تحقيق الأمن وتوفيره على نسبيّته يشير إلى نجاح الدولة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية من جهة، ومن جهة أخرى نجاع سياستها الخارجية وقدرة أجهزتها المختصة على حماية أراضيها ومواردها وثرواتها ومصالحها العليا، وتحقيق أهدافها وغاياتها المرسومة، وحمايتها من الأخطار والتهديدات الداخلية والخارجية التي تعرقل تنفيذ هذه الأهداف.

إن شيوخ الطريقة التجانية يمثلون قيادات اجتماعية فاعلة ومجتمع مدني فعال وإيجابي ساهم في خدمة البلاد والعباد منذ تأسيس الطريقة على يد الشيخ أحمد التجاني إلى اليوم.

تجلت جهود شيوخ الطريقة التجانية في جميع المجالات الحياتية؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والعلمية، ما يدل على مشاركتهم للدولة في الحفاظ على مقومات الأمن القومي الجزائري.

ساهم شيوخ الطريقة التجانية في تحقيق الامن الاجتماعي من خلال عاملين أساسيين؛ الغذاء والأمن والاستقرار، فعملوا على توفير الأمن الغذائي لمجتمعاتهم، وذلك من خلال غراسة النخيل وتوفير مصدر للدخل ومساعدة جميع الفئات الاجتماعية وحمايتهم من الآفات التي تفتك بالمجتمع، وبالتالي حماية الدولة من التهديدات الداخلية كالثورات وغيرها.

عمل شيوخ الطريقة التجانية على تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال تشجيع غراسة النخيل، وخاصة مع نظام الخماسة الذي أبدعه الشيخ الحاج علي التماسيني، والذي جعل من الفلاحين الفقراء الأجراء أصحاب أراضي وأملاك، ما أدى إلى ازدهار التجارة والصناعات المحلية.

قام شيوخ الطريقة التجانية بالمساهمة في تحقيق الأمن الثقافي، وذلك بنشر العلم والمعرفة في مناطق صحراوية نائية بعيدة عن مراكز العلم ومنابع المعرفة –وادي ريغ ووادي سوف– لعلمهم بأن المجتمع المتعلم الواعي الذي يتمتع بمستوى مرتفع من الأخلاق، والمثل العليا، والعلم النافع، قادر على مواجهة الجريمة، ومقاومة الانحراف، والحفاظ على أمنه القومي.

ومن أفضل ما ساهم به شيوخ الطريقة التجانية هو الحفاظ على وحدة تراب الجزائر ووحدة أراضيها والحفاظ على ثرواتها وخيراتها من المستعمر الفرنسي، ويبرز ذلك جليا في موقف الشيخ أحمد التجاني التماسيني ضد قضية فصل الصحراء عن الجزائر؛ وهذا هو جوهر الأمن القومي الجزائري.

إن المساهمة الفعالة والمشاركة الدائمة والمستمرة لشيوخ الطريقة التجانية في الحفاظ على الامن القومي الجزائري أساسها التربية الصوفية بالمنهج التجاني ذي الأسس الثلاث؛ علم وعمل وعبادة. هذه التربية هي التي تشعر الفرد بمراقبة الله تعالى له في كل لحظة، في؛ عمله، ومعاملته مع الناس، وسلوكه اليومي، وأخلاقه وقيمه في الحياة، ما يجعله قادرا على العمل من أجل تحقيق الامن القومي الجزائري.

إن أهمية التربية الصوفية تتجلى باعتبارها الطريق الأمثل القادر على إعداد نوعية مؤهلة ومتميزة من القوى البشرية يمكنها الوفاء بمتطلبات التنمية والعمل على تحقيق الأمن القومي والمحافظة عليه والعيش في ظله، ولهذا فإن الطريقة التجانية اليوم يُنتظر منها الكثير لمواجهة خطر العولمة والاختراق الفكري وأزمة القيم.

ضرورة توجيه نظر القيادات السياسية وصانعي القرار إلى الدور الحيوي والفعال الذي قامت به الطريقة التجانية في الحفاظ على الأمن القومي الجزائري، والذي يمكن أن تقوم به مستقبلا، وبالتالي العمل على تدعيمه.

إمكانية استثمار جهود شيوخ الطريقة التجانية وطرق عملهم في خدمة البلاد والعباد من أجل وضع تصور استراتيجي ورؤية مستقبلية لتفعيل دور المجتمع المدني بالجزائر لمواجهة التحديات التي تهدد الأمن القومي الجزائري اليوم.